تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار ا في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال : { من أنصاري إلى ا } أي من معيني في الدعوة إلى ا D ؟ { قال الحواريون } وهم أتباع عيسى عليه السلام { نحن أنصار ا } أي نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيلين واليونانيين وهكذا كان رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول في أيام الحج : [من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي] حتى قيض ا D له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا ا عليه ولهذا سماهم ا ورسوله الأنصار وصار ذلك علما عليهم Bهم وأرضاهم .

وقوله تعالى : { فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة } أي لما بلغ عيسى ابن مريم بما إسرائيل بني من طائفة اهتدت الحواريين من وازره من وآزره قومه إلى ربه رسالة E جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن ا المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه ا من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم : إنه ابن ا وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ومن قائل إنه ا وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء .

وقوله تعالى : { فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم } أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى { فأصبحوا ظاهرين } أي عليهم وذلك ببعثة محمد صلى ا عليه وسلّم كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير C : حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما قال : لما أراد ا D أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي قال : ثم قال أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنا فقال : أنا فقال له : اجلس ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال له : [اجلس] ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال : نعم أنت ذاك .

قال : فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة في البيت إلى السماء قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد

أن آمنوا به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلّم { فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة } يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى والطائفة التي آمنت في زمن عيسى { فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين } بإظهار محمد صلى الله عليه وسلّم دينهم على دين الكفار هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الاية الكريمة وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الاية من سننه عن أبي كريب محمد بن العلاء عن أبي معاوية بمثله سواء فأمة محمد صلى الله عليه وسلّم لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة